الرَّبْطُ الحِجَاجِيّ بين اللُّغةِ والدِّلالَةِ فِي شِعْرِ الطليقِ المروانيّ

The dialectical link (conjunctions link two or more semantic units within the framework of one dialectical strategy) between language and connotation in the poetry of Al-Taleeq Al-Marwani

د. أحمد محمد ربيع حسن سليم: دكتوراه البلاغة والنقد، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر

Dr. Ahmed Mohamed Rabee Hasan seleem: PhD in Rhetoric and criticism, Faculty of Arts, Zagazig university, Egypt

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i1.15

الملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الروابط الحجاجية في شعر الطليق المرواني، ومدى مساهمته في تحديد شكل الحجاج، ومدى تأثره بالسمات الشخصية ودوافع عصره. واعتمد الباحث على المَنهَجِ الحِجاجيّ التداوليّ، وهو مِن أبرزِ المَناهِجِ التَّحلِيليَّةِ الَّتي تَقومُ عَلَى دِراسةِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ انِطلَاقًا من أدوات من الربطِ اللُّغَويّ اللفظيّ، والبلاغي الدلالي. ومن أهم النتائج التي توصلتُ لها: أن الطلق تمكن من ربطِ الأدواتِ الحِجاجِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ مُتسَانِدَةً معَ الدّلِيلِ المَقاميّ مِن الوُصُولِ إلَى هدفه المنشود مِن الخِطَابِ الشِّعريّ الأندلسيّ، وثانيًا: جاءت البلاغة الحجاجية لديه عذبَةً رقيقةً مُنسَابَةً، لَم تَتَصادَم معَ الإجراءِ الحِجاجيّ المُتَّخَذِ مِن قِبَلِ الشَّاعرِ لِدَعمِ تَوجُّهِهِ فِي مدلول النَّص الشعري الأندلسي. وأوصي الباحثة بضرورة التنقيب وإجراء البحث حول شعراء العصر الأندلسي؛ لبيان الاتصال الوثيق بين الشعر والحجاج التداولي.

الكلمات المفتاحية: الربط الحجاجي، الشَّعرُ الأندلسيُّ، الربط اللغوي، الربط الدلالي.

Abstract:

The study aimed at revealing the dialectical links in the poetry of Al-Taleeq Al-Marwani, and the extent of his contribution to defining the form of the arguments, and the extent to which he was affected by the personal characteristics and motives of his era. The researcher depended on the argumentative pragmatic approach, which is one of the most prominent analytical approaches that is based on the study of literary texts based on tools of verbal-linguistic conjunctions and rhetorical semantic. Moreover, among the most important findings of this study is that firstly Al-Taleeq was able to link the linguistic dialectical tools supported by the rhyming guide to reach his desired goal of the Andalusian poetic discourse. Secondly, his dialectical rhetoric was sweet, gentle, and effusive, and did not clash with the argumentative procedure taken by the poet to support his orientation in the semantic of the Andalusian poetic text. The researcher recommended to search and conduct research on the poets of the Andalusian era to demonstrate the close connection between poetry and the argumentative pragmatic approach.

Keywords: dialectical link, Andalusian poetry, linguistic link, semantic link

المقدمة:

مِن أهمّ مَا يجبُ التَّنويهُ بهِ أوَّلًا هُنَا، أنَّ الشَّعرَ الأندلسيَّ عُمومًا، وشِعرَ (الطَّلِيقِ) خاصَّةً بَدا مُتأثِّرًا شديدَ التَّأثُّرِ بالطَّبيعةِ الأندلسيَّةِ التي تأخذُ بِمجامعِ القلوبِ، وتخلبُ الرَّائي إلَى الحَدِّ الذي لَا يَملِكُ معَهُ إلَّا تَقريرَ أوجهِ تعلُّقِهِ بِتلكَ المعانِي الَّتي ضمَّنهَا الشَّاعرُ فِي جُملَةِ أبياتِ دِيوانِهِ المُصرَّحِ فيهَا بِجمالِ الطَّبيعَةِ والَّتي لم يُصرِّح فيهَا بِذلِكَ، بل بدَا تَأثُّرُهُ بِتلك البيئةِ وهذِه الطَّبيعةِ في مظهرٍ سِوَى الذِّكرِ الصَّريحِ في بعضِ أو جُلِّ نصوصِ الدِّيوانِ. ولذلك فالحديث عن الممارسة الإقناعية الحجاجيَّة التي يسلكها الشاعر الأندلسي **الطليق المرواني**[1] في شعره من أجل حمل القارئ على أمر التسليم لحقائق، مما يتأتى على الباحث أن يدرس الحجج التي ترفد البنية الشعرية بسمة التأثير الحجاجيّ؛ فالشاعر حين يتصدَّى لتجربة الإقناع الحجاجي يصيبه شعورٌ بالحاجة إلى حجة على الموضوع المطروح بوصفها غاية يدرأ بها الضعف والركود عن رؤيته، الأمر الذي ألجأه إلى إسقاط وعيه ومشاعره على زرع الحجج بالخطاب الشعري في ضوء جدلية الحجاج بين الذات، والآخر.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يحاول الباحث في هذا البحث الكشف عن إقامَةِ الدَّليلِ وسَوقِ البُرهانِ تَابِعًا لِمَا تُعطِيهِ لُغَةُ النَّصِّ مِن الإيحاءاتِ الدَّلاليّةِ الحِجَاجِيَّةِ المُستَقَاةِ مِن خَارِجِ النصّ، وكذلك الكشف عن أَثَرِ الصُّورَةِ البَلَاغِيَّةِ فِي الإرشَادِ إلَى الدَّلالَةِ المُركَّبَةِ مِن العَناصِرِ اللُّغَويَّةِ.

وللتحقق من مدى صحة هذه الفرضية الحجاجية لنصوص الطليق المرواني؛ يحاول هذا البحث الإجابة عن تساؤلات متعددة أبرزها:

- هل هناك مخالفة بين الشعر والحجاج التداوليّ كما يدَّعي بعض الباحثين؟
- هل استفاد الطليق المرواني من معطيات الربط اللغوي، والدلالي في تقوية توجيه حجاجه؟

(1) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، قيل إنه كان يعشق جارية رباها أبوه معه، فنشأ يصبو إليها، وكانت تصبو إليه، وذكر ذلك لأبيه، ولم يحترم رغبته، فاستأثر بها من دونه، واشتدت غيرته من أبيه، فانتضى يوما سيفا وانتهز فرصة منه، فقتله، وكانت سنة إذ ذاك ست عشرة سنة، فزجّ به المنصور بن أبى عامر في السجن وظل به ست عشرة سنة، ثم أطلقه، فسمى الطليق لذلك، وعاش بعد إطلاقه ورد حريته إليه ست عشرة سنة ثالثة، وهو من نادر الاتفاق، وتوفى قريبا من سنة أربعمائة، ينظر: تاريخ الأدب العربي،: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، 1960 – 1995م، جـ 8، ص280. في ترجمة الشريف الطليق وشعره الحلة السيراء 1/ 220 والمغرب 1/ 191 والحميدي ص 321 والبغية ص 447 والمعجب ص 285 وما بعدها ونفح الطيب 3/ 586 وما بعدها والذخيرة 1/ 563 وما بعدها وجمهرة الأنساب لابن حزم ص 102.، ولد نحو سنة 350/ 960، وفى السادسة عشرة من عمره قتل أباه، فحبس على ما يزعم، 16 عاما، وفى السجن نظم معظم قصائده، وتوفى نحو سنة 400/ 1010: ينظر: تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة 430 هـ)، الدكتور فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج5، ص69.

- ما تيمة الحجاج التي طغت على شعر الطليق المرواني؟
- كيف وظف الشاعر التجربة الشعرية الأندلسية في تضاعيف نصوصه؟ وهل استغلها في توجيه الحجاج؟

منهج الدراسة:

تم الاعتماد على المَنهَجُ الحِجاجيُّ التداوليّ، وهو مِن أبرزِ المَناهِجِ التَّحلِيليَّةِ الَّتي تَقومُ عَلَى دِراسةِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ انِطلَاقًا مِن أنه يشكل العنصر الفاعل في ممارساتنا اليومية، طلبا لتحقيق التوازن الخطابي بين الباث والمتلقي، بغرض الدفاع عن قضية ما، أو تبرير سلوك معين، أو لإدانة شخص أو فعل، أو امتداحهما.

أهمية الدراسة:

تتأتى أهمية هذه الدراسة من كونها تقارب نصا شعريا مقاربة حجاجية؛ فيصبح الشعر الذي يتناول تجربة فردية محلاً للنظر في استراتيجيات الإقناع أو الاقتناع المضمنة للخطاب الحجاجي؛ مما يؤدي بدوره إلى الكشف عن الاتجاه الفكري أو النفسي الذي تفرزه هذه الاتجاهات ودورها في فاعلية الخطاب الحجاجي، والكشف عن إمكانات اللغة في الخطاب الحجاجي، وما تكشف عنه من تفسيرات مرتبطة بالشاعر محل الدراسة، ويتم الكشف عنها من خلال أندلسي يعود لشخصية ثائرة، وهذا ما سيسهم في تحقيق قراءة حجاجية صادقة لهذا الشاعر الأندلسي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الروابط الحجاجية في شعر الطليق المرواني، كما تهدف – أيضا– إلى مدى مساهمتها في تحديد شكل الحجاج، ومدى تأثره بالسمات الشخصية ودوافع بيئته، وتسعى إلى تحديد الروابط الدلالية والبلاغية في شعر الطليق المرواني.

أسباب اختيارِ الموضوعِ ودوافعِ دراسته:

وانِطلاقًا مِن تِلكَ الأهميَّةِ الَّتي أَولَاهَا الدَّرسُ التَّداوليُّ الحِجاجيُّ لِلمُتلقِّي بِمَا لَهُ مِن دَورٍ بَارزٍ فِي إنتاجِ النَّصِّ وَتَحلِيلِ فحوَاهُ وَفهمِ مَقاصَدِهِ، تَأتَّى لِي أَن أضَعَ فِي هذا الصَّدَدِ **أسباب اختيارِ الموضوعِ ودوافعِ دراسته** هذا مُشتَمِلًا عَلَى نَماذِجَ مِن شِعرِ الطَّلِيقِ المَرواني الشَّاعرِ الأندلُسيِّ المُفعَمِ بِحركَةِ الطَّبيعَةِ وَالمُتأثِّرِ بِمَعاييرِ النَّظمِ القَدِيمَةِ، مُضيفًا إلَيهَا مِن بَناتِ فِكرِهِ وَاتِّقَادِ جذوَةِ قَريحَتِهِ مَا عَنَّ لَهُ مِن الأغراضِ وَالغايَاتِ الَّتي تَستَهدفُ حَمْلَ المُخاطَبِينَ (المُتلَقِّينَ) عَلَى النُّزولِ عِندَ مَا رَغَّبَهُم فِي النُّزولِ عِندَهُ مِن القَضَايَا، أو تَنفيرَهُم مِمَّا أرادَ تَنفيرَهُم مِنهُ مِن الأُمورِ، فَشَاكَلْتُ بَينَ المَنهَجِ التَّداوليّ الحِجاجيّ وَالمَنهجِ التَّحلِيليّ الوَصفيّ؛ مِن أجلِ اِستقطابِ القَارئِ نَحوَ فَهَمِ مُرادَاتِ الشَّاعرِ الطَّلِيقِ فِيما

أزمعتُ العَمَلَ عَلَى تَحلِيلِهِ مِن تِلكَ النُّصوصِ المُختَارَةِ بِما اشتَمَلتْ عَلَيهِ مِن خِطابَاتٍ مُتفاوتةِ الأغراضِ فِي شِعرِهِ، عَلَى النَّحوِ المُبرِزِ لِمَظاهِرِ إنجازِ دَلالاتِ خِطابِهِ فِيهَا بِقوَّةِ تَأثيرِ الأفعالِ الإنجازِيَّةِ المُوظَّفَةِ فِي مَواقِعِهَا المُختَلِفَةِ مِن تِلكَ النُّصوصِ.

هيكل الدراسة:

1) التمهيد: مفهوم الحِجاج لغة واصطلاحًا.
2) المبحث الأوَّل: الربطُ اللُّغويُّ اللفظيُّ.
3) المبحث الثَّاني: الرَّبطُ البَلاغيُّ الدَّلَاليُّ.
4) الخاتمة والنتائج والتوصيات

أولا: التمهيد: مفهوم الحِجاج

الحِجَاجُ لُغَةً: ذلكَ العَملُ التَّداوليُّ ذُو البُعدِ الجَدليّ، الَّذي يَحتكَمُ فِيه إلَى العلاقةِ القائمةِ بينَ الذَّاتِ والآخرِ؛ بِهَدفِ تَوفيرِ القَناعَاتِ الكَافيةِ لِاستِمرارِ عَمليَّةِ التَّواصلِ بَينَ أطرافِهَا المُشاركةِ فِيهَا، مِن خِلالِ التَّأثيرِ والإقناعِ والتَبريرِ، وُصولًا مِن ذلِكَ إلَى نَتيجةٍ فَصليَّةٍ فِي عَمليَّةِ التَّخاطبِ.

وَبالنَّظرِ إلَى مَعاجِمِ اللّغةِ يُلمَحُ أنَّ ابنَ منظورٍ يُعرِّفه بـ: "الحُجَّةُ، البُرهانُ، وقِيلَ: الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الخصمُ، والحُجَّةُ: الوجهُ الَّذي يكونُ بِهِ الظَّفرُ عِندَ الخُصومَةِ، وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، والحُجَّةُ: الدَّليلُ والبُرهانُ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُمُ، وحَجَّهُ مُحاجَّةً وحِجَاجًا: نَازَعَهُ الحُجَّةَ، والرَّجُلُ المُحَاجُ هو الرَّجلُ الجَدِلُ، والاحتِجَاجُ: اِحتَجَّ بِالشَّيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّةً"[1]، وَجَاءَ فِي كتابِ العَينِ: "المَحجّةُ: قَارعةُ الطَّريقِ الواضحِ والحُجّةُ: وجهُ الظَّفرِ عندَ الخُصومةِ، والفِعلُ حَاججتُهُ فَحَجَجتُهُ، واحتججتُ عليهِ بِكذا، وجمعُ الحُجّة: حُججٌ، والحِجاجُ المَصدرُ" [2].وَبالجَمعِ بينَ كلِّ تِلكَ التَّعريفاتِ نَقِفُ عَلَى مَا راحَ أصحابُ النَّظريَّةِ الحِجاجيَّةِ الإقناعيَّةِ يَنشدونَهُ مِن تَحليلِ النُّصوصِ عَلَى وَفْقِ هذا المَنهجِ، فِي إقامَةِ الحُجَةِ وَمُبادَلَةِ طَرَفَي الخِطابِ فِي أيِّ مِن نصوصِ الأدبِ الحُجَةَ بِالحُجَّةِ وُمقارَعةِ كلٍّ مِنهُما للآخَرِ بِالبُرهانِ اَلذي يُدافِعُ بِهِ صَاحِبَهُ فِي حقٍّ أو فِي بَاطِلٍ، ذلكَ مُنطَلَقٌ لَا بُدَّ مِن مُلاحَظتِه عِندَ إخضَاعِ أيِّ نصٍّ – لَاسِيَّمَا لَو كانَ شِعريًّا – للنّقدِ وَالتَّحليلِ، فَإنَ فِي تِلكَ النَّظريَّةِ مَا يُظهِرُ حَقيقةَ الكَينونةِ الَّتي بَنَى مِنَها المُرسِلُ خِطابَهُ وَصاغَهُ فِي صُورةٍ مُتمركزةٍ حولَ هذا العُنصُرِ المَنطقيِّ الَّذي يَنشُدُ مِن وَرائِهِ إثباتِ أمرٍ أو نَفيهِ أو تَبريرِهِ؛ تَقويةً لِحديثِهِ وَتعضيدًا لِمقالِهِ.

(1) ابن منظور، جمال الدين (د.ت): لسان العرب، مادة حَ جَ جَ.
(2) الخليل، لأبي عبد الرحمن (ت175هـ) (ت1405هـ): العين [كتاب]: تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، دار الهجرة – إيران.

أما الحِجَاجُ اصطِلَاحًا: تمتدُّ جُذورُ فِكرةِ هذِهِ النَّظريَّةِ المُسمَّاةِ بِنظريَّةِ الحِجاجِ إلَى المَنطقِ الأرسطيِّ، الَّذي أدرجَ ذلكَ تَحتَ مَا يُسمَّى لَديهِ بِالمَنطقِ الصُّوريِّ؛ لأنَّهُ يهتمُ بِصورةِ الفِكرِ وطَريقةِ تَرتيبِ المَعلومَاتِ المَوجُودةِ فِي الذِّهنِ للوصولِ إلى النتيجةِ المُناسبةِ لتلكَ المَعلومَاتِ، بِغضِّ النَّظرِ عن نَوعيَّةِ المَعلومَاتِ وَمَصادِرِهَا[1]، ذلك أنَّ الربطَ بينَ المَعلوماتِ وَالاستدلالِ عَلى إثباتِهَا أو نفيها لَديهِ مُرتبطٌ ارتباطًا وثِيقًا بِموثُوقيَّةِ الحُجَّةِ وَقدرَتِهَا عَلَى الأداءِ المُعتمَدِ فِي الإدلاءِ بِمُسلَّماتِ المُتكلِمِ بِهَا عَلَى الوجهِ الذي يَرغبُ فِيهِ إثباتًا وَنفيًا، لَا بِحقيقةِ المَعلوماتِ نَفسِهَا مِن حيثُ هِيَ.

وَمِن ثَمَّ فَالحِجاج "عبارةٌ عن تصوُّرٍ مُعيَّنٍ لقراءةِ الواقعِ اعتمادًا عَلى بعضِ المُعطياتِ الخاصَّةِ بكلٍّ من المحاجِجِ والمقامِ الذي يُنجِبُ هذا الخطاب

المبحث الأوَّل: الربطُ اللُّغَويُّ اللفظيُّ في شعر الطليق المرواني

تُعدُّ اللغة من أهم وسائل المحافظة على عملية التواصل بين البشر، فهي عبارة عن مجموعة رموز تؤدي وظائف متعددة، منها وظيفة التواصل، ولا تقف عند هذه الوظيفة فهي بصورة عامة تحمل بين طياتها طاقة حجاجية مفادها التأثير، وهي بهذا تزيح الفكرة القائلة بأن وظيفة اللغة الأساسية التواصل والإخبار فقط؛ بسبب المؤشرات التي تدل على طبيعة اللغة الحجاجية التأثيرية. فنظرية الحجاج في اللغة منبثقة من نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها (أوستين وسيرل)، وعمل بعد ذلك ديكرو على تطوير أفكار وآراء أوستين[2].

فإنَّ "ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي وإنما هو ترابط حجاجي لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول آخر فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسيًا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجية ما"[3]، وحيثُ كانَ المَقامُ مَادَّةً أساسيَّةً فِي بُلوغِ مَا تعمَقَ مِن الدَّلَالَاتِ فِي أغوارِ النَّصِّ الشِّعريِّ بِحُسبَانِهِ نَوعًا مِن التَّأطِيرِ المُستَدَلِّ

(1) نجم جبار، فرقان(2019م): الحجاج في الشعر الأندلسي في عصري دول الطوائف ودولة المرابطين، (422هـ – 542هـ)، جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بابل، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص45.

(2) عمر، جايلي (٢٠١٨م): نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، جامعة بالأغواط، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع٣، ص١٩٤،

Julien D. Bonn: Comprehensive Dictionary of Literature , Abhishek puplications India , 2010: p; 16 M H Abrams , Geoffrey Galt Harpham

(3) صمود، حمادي (د. ت): نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، منوبة المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ط، ص ٣٥٢.

عَلَيهِ ذِهنِيًّا، جَاءَ كَذلِكَ دَورُ الرَّوابطِ المَادِيَّةِ المَلحوظَةِ بِاللَّفظِ بَينَ بَعضِ أجزاءِ النصّ وَبعضٍ عَلَى القَدرِ نَفسِهِ مِن الأهَميَّةِ؛ ذلِكَ لِمَا بَينَ اللَّفظِ وَمعناهُ المُوضُوعِ بِإزائِهِ مِن التَمازُجِ المَلحوظِ الَّذي لَا يتَغنِي عَنهُ.

وَمِن ثَمَّ تُطِلُّ عَلَينَا أهمَيَّةُ الرَّبطِ بِاللَّفظِ بَينَ الدَّلالاتِ المُختَلِفَةِ بِواسِطَةِ العَطفِ، وَالإحالاتِ، وَالتَّكرارِ...إلخ؛ وُصولًا إلَى تَماسُكِ النَّصّ وَاتِّحادِ نَسجِهِ فِي سِياقٍ خطابيٍّ يَنِمُّ عَن بَراعةِ الشَاعرِ وامتِلاكِهِ لِناصِيَةِ القَولِ: " بِالتَّلطُّفِ فِي مُعَالَجَةِ المَعَانِي أَو صِيَاغَتِهَا" (1)، عَلَى نَحوِ مَا لَا يَقَعُ لِلنَّاثرِ فِي نَثرِهِ، حَتَّى لَا يَكونَ كَبَعرِ الكِباشِ مُفرَّقًا لَا يُؤطِّرُ لِمَعانِيهِ وَدلالَاتِهِ المِفصليَّةِ شيءٌ.

وقَالَ الطَّلِيقُ مُشبِّبًا بِإحداهُنَّ، ومُنَدِّدًا بِمَا ألحَقَتْهُ بِهِ عَلَى بَحرِ الخَفِيفِ(*):

وَتَجَافَتْ جفُونُ عَينِي سُهدًا * حِينَ عُلِّمْنَ مِن جَفَاكَ الجَفاءَ**
وَكَأَنِّي مِمَّا تَنَاءَتْ جُفُونِي * لَاحِـــظُ وَرْدِ وَجْنَتَيكَ اجتِنَـاءَ**
وَكَأَنَّ الجُفُونَ تَرقُبُ[2] وَعْدًا * بِالتَّلَاقِي؛ فَلَا تَـــرُومُ التِقَاءَ**

يعمَدُ الأدِيبُ إلَى الرَّبطِ بِينَ عناصرِ خِطابِهِ الواحدِ ببعضِ العلاقاتِ التَّي توثِّقُ الصِّلَةَ بينَ أجزاءِ النصّ وبعضِهَا؛ جاعلَةً مِنهُ خِطابًا متَّحدَ البنيَةِ مُتماسِكَ الأعضاءِ، ومِن تِلكَ الرَّوابطِ المِفصليَّةِ الَّتي تَقُومُ بِدَورِ المِغزَلِ فِي الخِطابِ الأدبيّ واللُّغويّ الرَّوابطِ اللُّغويَّةِ والتَّركِيبيَّةِ، مِن أمثَلَةِ العطفِ، والشَّرطِ، والجرّ،... إلَى غيرِ ذلِكَ، ومَا لَا بُدَّ أن تُحيطَ بِهِ عِلمًا أنَّ لِجَمِيعِ هذِهِ الرَّوابطِ دَورًا فاعِلًا فِي صِناعَةِ الأثَرِ الحِجاجِيّ المُفحمِ، والإقناعيّ المُفهِمِ للمُتلقِّي؛ حَالَمَا احتَاجَ تَتبُّعُ المَعنَى المُرادِ إلَى الاحتجاجِ عليهِ لإثباتِ هُوَيَّتِهِ، أو لِتحقيقِهِ فِي نفسِ مُتلقِّيهِ، أو لنَي الرِّيبَةِ عنهُ بِأيّ مِن الوَسَائلِ الحَكيمَةِ الَّتي تَقومُ بِتلك الوظيفَةِ.

وحيثُ تعدَّدت هذِهِ الوسائل واتَّخذت أشكالًا مُتفاوتةً مِن حيثُ الوظيفةُ والأداءُ، ومِن حيثُ الشَكلُ والصَّياغَةُ، كانَ مِن المُحتَّمِ علَى الشَّاعرِ الطَّليقِ أن يُوقِعَ اختيارَهُ بِعنايَةٍ علَى الأدواتِ الَّتي تُعينُهُ عَلَى إبرازِ مقاصدِ نصّهِ بِحرْفِيَّةٍ تأخذُ النصوصَ بعيدًا عن النّمَطيَّةِ المألوفةِ فِي مثلِ أغراضِهِ الَّتي نظمَ فِيهَا.

وتَحقِيقًا لِأداءٍ نصيٍّ مُتكاملٍ فِي هذا النصّ جاءَ الطَّليقُ بتلكَ المفردَةِ (حِينَ) مِن قولِهِ: **حِينَ عُلِّمنَ مِن جفاكَ الجَفا** ليُنزِلَ المُتلقِّي عَلى رغبتِهِ فِي إثباتِ أنَّ تَجافِي عينَيهِ سُهدًا كانَ فِي الوقتِ

1) عصفور، جابر (2005م): مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1. ص57.
(*) الدِّيوانُ [128]
2) تَرقُبُ: تَنتظِرُ

جفاهُ محبوبُهُ؛ ولِذلِكَ ربطَ بِـ (مِن) الجارَّةِ الَّتي أفادتْ معنَى السببيَّةِ فِي قولِهِ السَّالفِ:... **مِن جَفَاكَ الجَفَا** مُقيمًا بِهذا الحُجَّةَ عَلَى المُخاطَبِ بالبيتِ –أوَّلًا– بِأنَّ جفاهُ هو مَا كانَ السَّببَ فِي حصولِ جفاءِ الشَّاعرِ عنهُ، ثمَّ –ثانيًا– عَلَى مُتلقِّي النصِّ بِإقرارِ عُمومِ الخِطابِ المُتضمَّنِ فِي موضوعِ النَّظمِ.

ومِن قَبيلِ الازديادِ فِي تَمثُّلِ المَعنَى فِي نفسِ المُتلقِّي والمُخاطَبِ زَادَ الشَّاعرُ الطَّلِيقُ فِي تَوظيفِ أدواتِ الرَّبطِ؛ فتراهُ هُنا يربطُ بنَ جُملَةِ مضمونِ البيتِ الأوَّلِ:

وَتَجَافَتْ جفُونُ عَينِي سُهدًا * حِينَ عُلِّمْنَ مِن جَفَاكَ الجَفاءَ**

وتَالِيهِ بِالجُملَةِ الحَالِيَّةِ المُصدَّرَةِ بِواوِ الحَالِ مِن قولِهِ:

وَكَأَنِّي مِمَّا تَنَاءَتْ جُفُونِي * لَاحِـــظُ وَرْدٍ وَجْنَتَيكَ اجتِنَـاءَ**

لَيجعَلَ مِن الجُملَةِ الحَالِيَّةِ: وَكَأنِّي مِمَّا تَناءَتْ...إلَخ تَوثِيقًا لِما أرادَ إقرارَ المُتلقِّي علَيهِ؛ فلا يتَّسِعُ بِهِ مقامُ الحالِ إلَّا لِإقرارِ مَا أقرَّهُ علَيهِ النَّاظمُ، فكانَ المَعنَى: تَجافَت جفونُ عينِي سُهدًا بِسببِ جفاكَ حالَ كَونِي مُشبِهًا لاحظَ عَينِكَ المُشبِهِ للوَردِ فِي انفصالِ جفونِي عن عَينِي.

فاتَّسقَ بِناءُ البَيتَينِ اتِّساقًا لَا يَكادُ معَهُ المُتلقِّي يَرَى سبيلًا إلَى فصلِ بعضِهما عن بعضٍ.

ثُمَّ أتَى بعدَ هذا بِما يُثبِتُ أنَّ جفنَيهِ لَم ينطبِقَا لِيلًا مِن طُولِ سُهدِهما بِسببِ انتظارِهِ لمَوعدٍ يَرتَقِبُهُ معَ هذا المحبُوبِ المُضمَرِ ذِكرُهُ فِي تضاعيفِ النَّسقِ الخِطابيِّ بِقولِهِ:

وَكَأَنَّ الجُفُونَ تَرقُبُ وَعْدًا * بِالتَّلَاقِي؛ فَلَا تَـــرُومُ التِقَاءَ**

والواوُ فِي قولِهِ: وَكَأنَّ الجُفُونَ... إمَّا أن تَكونَ واوًا حَالِيَّةً؛ فيكونُ بِذلِكَ قد جاءَ بِجُملَتَينِ حَالِيَّتَيْنِ مُتتابِعتَينِ، أو أن حَالِيَّةً مِن الضَّميرِ فِي الفِعلِ: (تَنَاءَتْ) وأنزلَ الجُملَةِ –عَلَى كِلَا الوجهَينِ مَنزلَةَ الرَّابطِ الذي أحدثَ التَّناسُجَ العضويَّ بينَ كُلٍّ مِن الأبياتِ الثَّلاثةِ.

وبِتقديرِ وضعِ الكلامِ فِي موضعِهِ مِن لُغتِهِ لَا يَكادُ ينفكُّ عن أدائِهِ الطَّبيعيِّ، بينَما التَّوجُّهُ بفعلِ الكلامِ إلَى ما رغبَ في إقرارِهِ النَّاظمُ مِن تبليغِ المُتلقِّي قصدَ التَّثبُّتِ مِن أنَّهُ لَم يَزَل يُحدِّثُ لهُ كلَّ مَا أسلفَ فِي النَّصِّ بِسببِ تَجاهُلِ هذا المُحبوبِ لَهُ؛ فسنحو بِنا الخِطابُ نَحوًا جَدِيدًا يتَّخذُ طَرِيقَهُ صَوبَ طَلَبِ تَأكيدِ هذا المعنَى.

ما مكَّنَ الشَّاعرَ فِي هذا الصَّددِ مِن استعمالِ مِعياريَّةٍ جديدةٍ تجعلُ مِن فِعلَ الانطلاقِ: (وَتَجافَتْ) مُهيِّئًا للقصدِ مِن خِلالِ أفعالِ العُبورِ: (تَنائِي الجفونِ، واجتِناءِ الوردِ، وتَرقُّبِ الوعدِ) لِبلُوغِ فِعلِ الوصولِ: الَّذي هو رغبةُ التَّلاقِي، الَّتي امتحنَ نفسَهُ فِيهَا، فَلم يَجد مَعَ طُولِ ما يُعانِيهِ مِن سُهدٍ إليهَا سبيلًا.

المبحث الثاني: الرَّبطُ البَلاغيُّ الدَّلاليُّ شعر الطليق المرواني

إنَّ مِن أهمِّ مَا يُؤدِّي إلَى ذلِكَ النَّوعِ مِن التَّطوُّرِ الدِّلاليِّ الَّذي يُخضِعُ الشِّعرَ لِسُلطَانِهِ، ذلِكَ التَّطوُّرُ المَلحُوظُ فِي بِنياتِ النَّظمِ، وَالَّذي يُنتِجُهُ الشَّاعرُ فِيهِ مِن خِلالِ حِرصِهِ عَلَى توظِيفِ الصُّوَرِ البَيانِيَّةِ المُفعَمَةِ بِالحَرَكِةِ وَالخَياليَّةِ والمباغتة الكاسرة لأفق توقعات المتلقي.

فَإنَّ هُناكَ تَمَاهِيًا ظَاهِرًا " بَينَ الأَدَاءِ اللُّغويِّ فَي أُحادِيَّةِ أنمَاطِهِ وَوَاحِدِيَّةِ دَلَالَاتِهِ، وَبَينَ التَّركيبِ الشِّعرِيِّ فِي وَفرةِ أنسَاقِهِ واغتِناءِ دَلَالَاتِهِ، فَالأوَّلُ يُحِيلُ إلَى مَدلُولٍ مُباشِرٍ، بَينَمَا لَا يُحِيلُ الثَّانِي إلَى دَلِيلٍ خَارِجِيٍّ مُبَاشِرٍ... فَلِكُلِّ عُنصُرٍ فِي التَّركِيبِ الشِّعرِيِّ دَلَالَتُهُ الخَاصَّةُ... تَنفُثُ أشكَالَهَا وَتُثرِي شُكولَهَا فَاعِلِيَّةُ تَعبِيرٍ وَحَيَوِيَّةُ تَصويرٍ " [1].

فَمِن حَيثُ كَانَ النَّصُّ الشِّعرِيُّ مَبنِيًّا عَلَى عَددٍ مِن التَّصوُّراتِ الخَاصَّةِ لَدَى الشَّاعرِ، وَالَّتي لَا تُؤدَّى إلَّا بِطرِيقٍ مَخصُوصٍ، لَم يُستَغنَ فِيهِ عَن الجَماليَّةِ، جَاءَ الرَّبطُ بِالأدواتِ البَلاغيَّةِ فِيهِ فِي رُتبَةٍ رَفِيعَةٍ تُسبِغُ غَليهِ مِن عَواملِ النُّهوضِ، وَملامِحِ التَّكوِينِ مَا لَيسَ يُتَوصَّلُ إلَى الرَّبطِ بَينَ مدَلَالَاتِهِ المُختَلِفَةِ إلَّا بِهَا.

وَإنَّ مِن مِلامِحِ التَّصوِيرِ المُؤطِّرَةِ لِعَلاقَةِ بَعضِ عَناصرِ وَمُقوِّماتِ بِناءِ النصِّ الشِّعرِيِّ بِبعضِهَا مَا أشرنَا إلَيهِ فِي الشِّقِّ التَّحلِيلِيِّ لِمُجمَلِ النَّماذِجِ التَّحلِيلِيَّةِ مِن هذِهِ الدِّرَاسَةِ، عَبْرَ فَضَاءاتِ البَيانِ وَالمَعانِي المُنتَسِجَةِ مَعَ التَّراكِيبِ النَّحوِيَّةِ، مِن أمثِلَةِ بَلاغَةِ الفَصلِ وَالوصلِ، وَالتَّكرارِ، وَالإحالَةِ، وَالتَّشبِيهِ، وَالاستِعارَةِ.

وَفِي إشَارَةٍ مُلمِحَةٍ إلَى مَاهِيَةِ البَلاغَةِ، وَدورِهَا فِي تَقيِيمِ وَتقوِيمِ المُحتَوَى الخاصِّ لِلخِطابِ الشِّعرِيِّ، وَتعزِيزِ دَلالَةِ هذا المُحتَوَى بِتحدِيدِ دَلالَاتِهِ الَّتي استمنَحَهَا مِنهَا بِغَرَضِ الانسِجامِ وَالتَّكامُلِ البِنائِيِّ وَالجَمالِيِّ بَينَ أبعاضِ النَّصِّ وَأجزائِهِ؛ لِتحوَّلَ إلَى بِنيَةٍ أُحادِيَّةِ الشَّكلِ وَالجَوهرِ تَربِطُهَا بِبَعضِهَا لُحمَةٌ مَعنَوِيَّةٌ وَقرابَةٌ دَلالِيَّةٌ، يَعقدُ الدكتور جَابر عصفور فصلًا كامِلاً لِذلِكَ، يُعرِّفُ فِيهِ بِآراءِ العُلَمَاءِ وَالنُّقادِ القُدامَى فِيمَا تُنزِلُهُ البَلَاغَةُ وَالتَّصوِيرُ بِالنَّصِّ الشِّعرِيِّ – خَاصَّةً – مِندَلالاتٍ مُحكَمَةٍ تُجَلِّي عَن فَحواهُ وَمقاصِدِهِ مُعدِّدًا مِن طُرُقِ الوُصولِ إلَيهَا، وَفْقًا لِمَا أورَدَهُ مِن آراءٍ لِلجرجاني، والقاضي الجرجاني، والعسكري، الفرطاجني[2].

ومِمَّا لَيسَ مِن نَافلَةِ الكَلامِ هُنا ضَرورةُ التَّمهِيدِ بِالإلمَاحِ إلَى مُحايثاتِ الرَّبطِ البلاغيِّ، وبيانِ معناهُ؛ فكثيرًا مَا يغتقِدُ قارئُ نصٍّ مَا أنَّ الرَّبطَ البلاغيَّ بِما لَهُ مِن أَثَرٍ فِي توجيهِ المُحتوَى الخِطابيِّ

1) عيد، رجاء (بدون سنة نشر): القول الشعري (منظورات معاصرة)، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص107.
2) عصفور، جابر (2005م): مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، ص156 – 162.

لِأيٍّ مِن النُّصُوصِ الشِّعريَّةِ فِي صِعِيدِهِ الحِجَاجيّ حصَرًا فِي الانزِياحاتِ التَّشبيهِيَّةِ، والاستعاريَّةِ، والفصلِيَّةِ والوصلِيَّةِ، والمَسَألَةُ أبعدُ مِن ذَلِكَ غورًا، فإنَّ تَعَلُّقَ الرَّبطِ الدَّلاليّ بِبلاغَةِ العِبارَةِ لِيسَ قاصِرًا عَلَى هذهِ الأوجهِ، بَل هوَ أدخلُ فِي أفعالِ الكَلامِ بِما لَهَا مِن تَأثيرٍ بالِغِ الأهَمِّيَّةِ فِي توجيهِ الخِطابِ وفهمِ محتواهُ، ذَلِكَ لِأنَّ أفعالَ الكَلامِ تُعبِّرُ عنِ الأفعالِ الإنجازيَّةِ الَّتي تربطُ المعنَى التَّقريريّ المفهوميّ لِأيٍّ مِن المُفرداتِ العربيَّةِ بِمَعناهَا الَّذي تُوجِّهُ إلَيهِ مِن خِلالِ موقِعِها فِي السِّياقِ الواردَةِ فيهِ.

كَمَا أنَّ لِهذِه الأفعالِ دَورًا وثيقَ الارتِباطِ بتحديدِ المُرادِ مِن خَبريَّةِ العِبارَةِ وإنشائيَّتِهَا داخلَ السِّياقِ المُقحَمَةِ فِيهِ، مَع ما تُقدِّمُهُ مِن بيانٍ لِأوجهِ الاختلافِ بَينَ المَعانِي المُؤَدَّاةِ بِالخَبَرِ والإنشاءِ للعِبارةِ الوَاحدةِ فِي سِياقَاتِهَا المُتفاوتَةِ، ومَقامَاتِهَا المُختَلَفَةِ فِي خِطاباتٍ مُتعَدِّدَةٍ وَمُتغايرةٍ.

فقد عالجت البلاغة العربية، شأنها في ذلك شأن البلاغة في الثقافات الأخرى في أغلب الأحيان نصوصا وخطابات أدبية يحكمها الوعي والقصد، ولم يكن البلاغي يهتم بالخطاب الذي يكتفي بذاته ولا يعير اهتماما لمخاطبه، ولم تكن البلاغة تعتبر النّص كلاما يهم المتكلم أو كلاما مكتفيا بذاته، بل اهتمت أساسا بالنص الذي يتوجه إلى الآخرين[1].

والخِطاب البلاغيُّ كغيرِهِ من الخِطابات يتخذُ جملة من الأدوات الحجاجيَّة التي تدفع بالمستقبل إلى التأثر والإقتناع وبالنتيجة التسليم والإذعان؛ لهذه الأسباب انفتحت الدراسات الأدبية على الحِجاج وراحت تنهل من مدارسه واتجاهاته وتستخدم أدواته الإجرائيَّة في التحليل البلاغي؛ فإنَّ البلاغة – عمومًا– مسلكٌ رئيس من مسالك الحجاج والاستدلال، وأنواعها تكتسب قوتها التأثيرية الحجاجيَّة؛ لأنها تخاطب العقل والإحساس على حدّ سواء[2].

ومِن هُنا يُمكِنُ القَولُ بِأنَّ لِأفعالِ الكلامِ وظيفَةً خِطابيَّةً تَختَلفُ بِاختلافِ الغرضِ الموظَّفَةِ فِيهِ، معَ اتِّحادِ المُفرداتِ الموظَّفَةِ فِي هذا الخِطابِ، فَستَطيعُ الشَّاعرُ أن يُؤَدِّيَ بِالعِبارةِ الواحدةِ أكثرَ مِن معنًى بِحسَبِ الإيرادِ، وحَالِ المُتلقِّي، وغرَضِ الخِطابِ، ومِن ثَمَّ فإنَّ تَأثِيرًا ظاهِرًا ينشَأُ عَن تَوظيفاتِ أفعالِ الكَلامِ المُختَلِفَةِ فِي سِياقَاتِهَا يُوثِّقُ الصِّلَةَ بينَ المَعَانِي المتغايِرَةِ فِي السِّياقِ الواحدِ، بِمَا يُؤَدِّي وظَيفةً حِجاجِيَّةً تُعضِّدُ قَنَاعَاتِ المُتلقِّي بِوَاسِطَةِ الأدواتِ المَطلوبَةِ لِذلِكَ، وفِي التَّالِي سَنُطَبِّقُ إجراءاتِ مَا ذكرنَاهُ علَى النُّصُوصِ المُختارَةِ لهذا:

وَقالَ الطَّليقُ المروانِي فِي وَصفِ مَنزِلِ الزَّهراءِ وهوَ يُطبِقُ حَولَهَا، عَلَى نَغَمِ بَحرِ الكَامِلِ[*]:

1) لعلاوي، فتحية (2012م): الوظيفة الاقناعية للحجاج في الدراسات العربية والغربية، حوليات جامعة الجزائر، العدد 22، ص329.

2) حبيب، بوسغادي(2019م): الحِجاج البلاغي في نونية أبي البقاء الرّندي دراسة نماذج، المركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر، العدد الثالث.، ص، 244، 245.

فِي مَنْزِلٍ كَاللَّيلِ أَسْوَدَ فَاحِـــمٍ * دَاجِـي[1] النَّوَاحِي مُظْلِمِ الأَثْبَاجِ[2]**

يَسْوَدُّ والزَّهْرَاءُ تُزْهِرُ حَولَـهُ * كَالحِبْرِ أُودِعَ فِـي دَوَاةِ العَاجِ**

بَالنَّظَرِ إِلَى كَلِمَةِ (مَنزِلٍ) مِن أَوَّلِ البيتِ الأَوَّلِ، لَا يَجدُ القارئُ فِي نفسِهِ مَا يُداخِلُ المَعنَى المألوفَ الَّذي تُستعملُ هذا المُفردةُ فيهِ، فلا يَكادُ يتَّجِهُ بِهِ المعلومُ مِنهَا إِلَى مفهومٍ سِواهُ، فيرتاحُ إِلَى ذَلكَ المعنَى قليلًا مِن واقعِ عِلمِهِ المُسبقِ بهِ؛ فهو مُقرَّرٌ لَديهِ مُسبقًا لَا يَتعيَّنُ عِندَهُ غيرُهُ.

ولكنْ سريعًا مَا يقِفُ حِيالَ هذا المعنَى مُتحيِّرًا يتردَّدُ بينَهُ وبينَ مَا فرضَهُ عليهِ السِّياقُ حِينَ تجاوَزَهُ إِلَى قولِ الشَّاعرِ: " **يَسْوَدُّ والزَّهراءُ تُزهِرُ حَولَهُ** "

فتحرَّرَ لَدَيهِ مفهُومٌ جديدٌ لَم يَكُن مِن تَأمُّلاتِهِ ولَا مِمّا قد يَجمحُ إِلَى فهمِهُ ذِهنُهُ، ولَم يتقرَّر عِندَهُ أنَّ المَعنَى الَّذي يُريدُهُ الشَّاعرُ لَم يَكُن المَنزِلَ أيَّ مَنزِلٍ، مُجرَّدًا عَن المفاهيمِ الاصطلاحِيَّةِ الخاصَّةِ بِعُلماءِ الفَلَكِ، فالشَّاعرُ قد عَنَى هُنا مَنولَ الكَوكبِ المُسمَّى بالزَّهراءِ، ولم يَتبيَّن هذا المعنَى إلَا معَ بدايةِ البيتِ الثَّانِي عِندَ القولِ المذكورِ، فإنَّ نَعْتَ الشَّاعِرِ هذا المَنزِلَ بِالأسودِ الفاحِمِ، والدَّاجِي النَّواحِي، والمُظلِمِ الأثباجِ لَا يُخرِجُ (المَنزِلَ) عن مَعناهُ التَّقريريّ المُعجَميّ؛ فهي أوصافٌ طَبيعيَّةٌ قد تَنطَبِقُ علَى أيّ مَنزِلٍ مِن المَنازِلِ.

أمَّا أن يُحِيلَ عَلَى نعتِهِ بالجُملَةِ الفِعليَّةِ: " يَسْوَدُّ والزَّهْرَاءُ تُزْهِرُ حَولَهُ..." فَإنَّهُ يُخرِجُهُ عن الاستعمالِ المَألوفِ لهذِهِ المُفرَدَةِ إِلَى ما يُوجِبُ علَى المُتلقِّي البحثَ فِي مُرادِ الشَّاعرِ مِن هذه العِبارةِ.

ثُمَّ بِالوقوفِ علَى قولِهِ: **كَالحِبْرِ أُدِعَ فِي دَوَاةِ العَاجِ**، تَقرَّرَ لَدَى المُتلقِّي القصدَ العامَّ مِن تَوظيفِ هذا اللفظِ فِي ذَلِكَ التَّركِيبِ؛ حيثُ كَانَ مِن المقطوعِ بِهِ لَدَى كُلِّ عاقلٍ أنَّ المَنزِلَ مهما تَصاغرَ وتَضَاءلَ لَا يُمكِنُ أن يحتويهِ شيءٌ، ومِن هُنا يُحكَمُ علَى تَشبيهِ الشَّاعرِ للمنزِلِ بِمَا احتواهُ مِن الخارجِ بأنَّهُ مُودَعٌ فِي دَوَاةِ العاجِ فاسِدٌ مِن كُلِّ وجهٍ، أمَّا إن كانَ الغرضُ مِن التَّشبيهِ يَخصُّ منزِلَ الزَّهراءِ؛ فيُحكَمُ عليهِ ببلوغِهِ قُلَّةَ البلاغَةِ وفائقيَّةَ التَّعبيرِ، ذلِكَ لِأنَّهُ شبَّهَ الزَّهراءَ فِي إشراقِهَا بِدواةِ العاجِ ومَنزِلَهَا بِالحبرِ المُودَعِ فِيهَا.

(*) الدِّيوانُ: [137]

1) دَاجِي: مُظلِمٍ شَديدِ الظُّلمَةِ

2) الأثباجِ: الثَّبَجُ وَسْطُ الشَّيءِ ومُعظمُهُ، أو أعلاهُ

حِجَاجِيَّةُ التَّوظِيفِ:

وبِعَمْدِ النَّاظمِ إلَى التَّحايلِ علَى القارئِ بِصناعَةِ معنًى جَديدٍ مِن تركيبٍ مُستعمَلٍ هَتَكَ سِتَارَ المعلومِ لَديهِ بِمَا هوَ مَعلومٌ أيضًا، إلَّا أنَّ عِلمَهُ بِهِ ليسَ كَعلمِهِ بِما هو مُقرَّرٌ لَديهِ سالفًا مِن معنًى تَقريريّ لِهذه الكَلِمَةِ، فقدَّمَ لَهُ الغَرَضَ فِي صُورةٍ لَم يَكُنِ المُتلقِّي ينظُرُ إلَى المنزلِ مِن خِلالِهَا إلَّا علَى شَاكِلَةِ مَا يعلمُهُ مِن أنَّهُ بيتُ السُّكنَى والإيواءِ، حتَّى أوقفَهُ عَلَى القصدِ الَّذي مِن أجلِهِ صاغَ البيتَ علَى شَاكلةِ مَا هوَ معلومٌ لَديهِ، غيرَ أنَّهُ وظَّفَ الـ(مَنزلَ) فِي سِياقٍ آخَرَ.

ودلَّلَ علَى سَلامَةِ استغلالِهِ لِهذا المعنَى، وقوَّةِ حُجِيَّتِهِ، وانتصارِهِ عَلَى نَزعةِ التَّقليدِ فِيهِ بِتصويرِ النَّجمِ المَذكُورِ بِصُورةِ دَواةِ العاجِ خالِصَةِ البياضِ، وَالمَكَانِ الَّذي يَحتَويهِ بِصُورةِ الحِبْرِ الكَائنِ فِي تِلكَ الدَّواةِ، فَزَادَ المعنَى قُوَّةً وبهاءً.

وَلِتَوظِيفِهِ لِكَلِمَةِ (حَولَهُ) مِن قَولِهِ:

يَسْوَدُّ والزَّهْراءُ تُزْهِرُ حَولَـهُ * كَالحِبْرِ أُودِعَ فِـي دَواةِ العَاجِ**

غرَضٌ بَلغَ القَدْرَ الأوفَى مِن الأهميَّةِ فِي التَّنبيهِ علَى أنَّ مَنزلَ الزَّهراءِ هو مَا احتوَى عليهَا وشمِلَهَا بِدليلِ قولِهِ: **فِي مَنزِلٍ كَاللّيلِ أسودَ فاحمٍ**... إلَّا أنَّهَا ومَعَ احتِوائِهِ لَهَا تمكَّنَتْ مِن نَشرِ هالَةِ ضَوئِهَا حَولَهُ، فَكَانت هِيَ كَالمُشتَمِلَةِ عليهِ.

وقالَ مِن قصِيدَةٍ لهُ عَلَى بَحرِ الطَّويلِ، يُعالِجُ فِيهَا مَا يشعرُ بِهِ مِن الأسَى لِفراقِ أحِبَّتِهِ(*):

أقــــولُ وَدمعِي يُستَهَـــــلُّ وَيُسفَحُ[1] * وَقَـد هَـــــاجَ فِي الصَّدرِ الغَلِيلُ المُبَرِّحُ**

دَعُونِي مِن الصَّبْرِ الجَمِيلِ فَإنَّنِي * رَأَيـتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي الحُبِّ يَقْبُحُ**

لَقَد هَيَّجَ الأَضحَى لِنفْسِي جَوَى[2] أسًى * كَريـهُ المَنَايَـا مِنـــهُ لِلنَّفـــسِ أَرْوَحُ**

وَهُوَ هُنَا يُحِيلُ علَى مَعنًى بَدِيعٍ يَصِفُ بِهِ مَا يُحِسُّهُ مِن لَوعَةِ تَنائِي حَبِيبِهِ عَنهُ، بِتَحويلِ فِعلِ الكلامِ عن وجهِهِ إلَى طَرِيقٍ يتبلورُ فِيهِ المعنَى المُرادِ فِي هيئَةٍ مخصوصَةٍ بِقالِبِ الشِّعرِ وخِطابِهِ الوجدانيّ، يَتمثَّلُها المُتلقِّي تَارةً علَى وَفْقِ مَا تُمليهِ عليهِ تصَوُّراتُهُ، وأُخرَى بِما يتطابقُ معَ البِنيةِ العميقَةِ

(*) الدِّيوانُ [139]

1) يُسفَحُ: يَسيلُ مُراقًا

2) الجَوَى: شِدَّةُ الوجدِ والاحتراقِ بالحُبِّ

الَّتي ضمَّنَ الشَّاعرُ خِطابَهُ إيَّاهَا؛ لِيظهرَ الفرقُ بينَ مَا يتكلَّمُ بهِ العامَّةُ ومَا يَوظِّفُهُ الخِطابُ الشِّعريُّ فِي طَيَّاتِهِ منهَا.

وَمِن تِلكَ التَّوظيفاتِ استعمالُهُ للمُضارعِ دُونَ الماضِي مِن قولِهِ: **أَقُولُ وَدَمعِي يُستَهَلُّ...**، ذِهابًا مِنهُ إلَى أنَّ مَا يشعُرُ بِهِ مِن الأسَى واللَّوعةِ لَم يَزَل قائِمًا مُستمِرًّا غيرَ مُنقطِعٍ، ثُمَّ أيَّدَ تِلكَ الإحَالَةَ مِن المَاضَويَّةِ إلَى المُضَارِعيَّةِ بِإتباعِ ذلِكَ بالجُملَةِ الحاليَّةِ الدَّالَّةِ علَى هيئتِهِ عِندَ الكَلامِ بقولِهِ: **وَدَمعِي يُستَهَلُّ وَيُسفَحُ**، ولَم يقتَصر علَى تِلكَ الجُملَةِ فِي بيانِ مَا أشعرَ بِهِ المُتلقِّي مِن دَوافعِ تَوظيفِ الفِعلِ المُضارِعِ (أقولُ) بَل أتبَعَ تِلكَ الجُملَةَ بِجُملَةٍ حَالِيَّةٍ أُخرَى، تُشيرُ إلى مُعانَاتِهِ وإلَى أيِّ مدًى بلغَ بِهِ الحالُ فِيهَا فقالَ: **وَقَد هَاجَ فِي الصَّدْرِ الغَلِيلُ المُبَرِّحُ**.

ومِن مظاهرِ هذا التَّوظيفِ البَديعِ إحالَتُهُ علَى الإنشاءِ مِن قولِهِ: **دَعُونِي مِنَ الصَّبرِ الجَمِيلِ...** والمعنَى مِن الخِطابِ فِي هذه العِبارةِ: ألتَمِسُ مِنكُم – مِن مُحِبِّيهِ وعَاذِلِيهِ – ألَّا يُوصِينِي أحدُكم بالتزامِ الصَّبرِ الجَمِيلِ، وقد ذَكَرَ العِلَّةَ الدَّاعِيَةَ إلَى التماسِهِ مِن هؤلاءِ ألَّا يُحدِّثَهُ أحدُهم فِي مَسألَةِ التزامِهِ الصَّبرَ الجَمِيلَ، مِن قَولِهِ: **فَإنَّنِي... رَأيتُ جَمِيلَ الصَّبرِ فِي الحُبِّ يَقبُحُ**.

إذَن لَم يَكُن الفِعلُ الإنشائيُّ: (دَعُونِي) مُستعملًا فِي حقيقَتِهِ، إذ لا يستطيعُ الإنسانُ أَمْرَ أحدٍ مِن النَّاسِ وَلَيسَ لَهُ عليهم أدنَى سُلطانٍ، معَ مَا نعرِفُهُ مِن حالِ المُحبِّ مِن الضَّعفِ الحائلِ بينَهُ وبينَ مَا يقدرُ عليهِ، فضلًا عن أن يحولَ بينَهُ وبينَ ما يقدرُ عليهِ غيرُهُ، ثُمَّ إنَّ انطواءَ المعنَى الظَّاهرِ علَى معنًى دَفِينٍ فِي قَولِهِ: **الصَّبرِ الجَمِيلِ...** أبيَنُ مِن الذِّهابِ في مَذاهِبِ بيانِهِ؛ إذْ لَا أراكَ يَخفَى عَلَيكَ قصدُ الشَّاعرِ إلَى تقييدِ (الصَّبرِ) بالنَّعتِ (الجَمِيل) فَلم يَكُن كلامُهُ عن مُطلَقِ الصَّبرِ؛ لِأنَّ المُحبَّ مجبولٌ علَى الرِّضا بالصَّبرِ طواعِيةً أو كراهِيةً معَ حَبيبِهِ، ولكنَّهُ دَعا هؤلاءِ مُلتَمِسًا مِنهم عدمَ خِطابِهِ فِي شَأنِ صبرِهِ الجميلِ، فهو يقدِرُ مِن الصَّبرِ علَى الصَّبرِ المُجرَّدِ المُطلَقِ، أمَّا الصَّبرُ الجَمِيلُ الَّذي لا يشُوبُهُ جزَعٌ ولا يُخَالِطُهُ تَضَجُّرٌ فهو لَا يستطيعُهُ، خُصُوصًا مَعَ مَا تَرَاءَى لَهُ يَومَ عِيدِ الفِداءِ مِن الأسَى والجوَى مَا آثَرَ معَهُ وُرُودَهُ أشَدَّ أنواعِ المَوتِ، ولَذَلِكَ عِندَهُ أرْوحُ لِنفسِهِ مِن أن يرَى هذا المشهدَ الَّذي أشعَرَهُ بِأنَّ مَا يُصنَعُ فِي تِلكَ الذَّبائحِ كَأنَّهُ يُصنَعُ بِهِ هوَ، وفِي هذا المعنَى تَراهُ ربطَ بينَ مَا يُعرضُ إلَيهِ ومَا يُبلِّغُهُ مِن خلالِ مُفرداتِ اللُّغةِ وأفعالِ الكلامِ للمُتلقِّي بِالإحالَةِ عَلَى المقامِ الخارجيِّ، إلَى جانِبِ مَا استعانَ بِهِ مِن الاحتِجاجِ بِفعلِ الكلامِ المُحِيلِ: (أقولُ) و(دَعُونِي) والمعنَى المُحالِ عليهِ فِيمَا أسْلَفنَاهُ مِن بَلاغَةٍ إقناعِيَّةٍ يَرومُ بِأدواتِهَا التَّشديدَ عَلَى إيقاعِ هذه المَعانِي فِي نفسِ القارئِ لِيَبلُغَ بِهِ ذِروةَ سَنامِ المَقامِ فِي خِطابِهِ الشِّعريِّ الَّذي بلغَ فِي الغايَةِ مِن التَّأزُّمِ والالتِياعِ الَّذي يَظهرُ واضِحًا فِي قَولِهِ:

كَأنَّ بِعَينِي حَلْقَ كُلِّ ذَبِيحَةٍ * وَبِصَدرِي قَلبَهَا حِينَ تُذْبَحُ**

حِجَاجِيَّةُ التَّوظيفِ:

وَقَد أَحكَمَ النَّاظمُ نَسجَ القَصِيدَةِ بشَدِّ بعضِ أبياتِهَا بِبَعضٍ، بِتوظيفِ أفعالِ الكَلامِ المَذكُورةِ فِي مَواضِعِهَا مُقِيمًا بِهَا الحُجَّةَ عَلَى أنَّ مَا أحالَهُ إلَى تِلكَ الصُّورَةِ الَّتِي يَراهُ عليهَا النَّاسُ لَم يَقع لَهُ إلَّا بِسَبَبِ تِلكَ الأُمُورِ الَّتي عَمَّقَ بِعُمقِ أثرِهَا فِي نَفسِهِ المَعانِي الَّتي ضَربَ عَلَيهَا بِتِلكَ المُفرداتِ، فَحَالَ بينَ معانِي تِلكَ الأفعالِ التَّقريريَّةِ ومَعانِيهَا الَّتي فَرضَهَا الشَّاعرُ علَى السَّياقِ؛ لِيَجعَلَ مِنهَا سَبيلًا إلَا إنجازِ مهمَّةِ التَّبليغِ الخِطابيِّ المُفهِمِ لِعُمومِ هذا النَّصِّ، وقَد أسلفتُ بيانَ كُلِّ هذا فِي موضِعِهِ ممَّا يَحتمِلُهُ المعنَى العَمِيقِ للخِطابِ الشَّعريِّ فِي هذا النَّصِّ.

***

وَقالَ مِن بَحرِ الكَامِلِ، يَصِفُ رَبعًا خَلَّاهُ أهلُهُ(*):

رَبْعٌ تَرَبَّصَتِ النُّجُومُ لِأهلِــهِ * وَرَمَاهُمُ رَيبُ[1] الزَّمَانِ؛ فَقَرطَسَا[2]**

فَكَأنَّهُ –مِمَّا تَقــــادَمَ عَهْــدُهُ– * رَبْعُ امرِئِ القَيسِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا[3]**

لَيسَ ثَمَّةَ مَا يُلجِئُ النَّاظمَ فِي كُلِّ شُعرِهِ إلَى دفعِ شُبهَةٍ، أو مُحاولَةِ إقناعٍ أَو إفحامٍ، تَقُومُ فِي الخِطابِ الشَّعرِيِّ مَقامِ التَّأكيدِ علَى صِحَّةِ أو التَّأكيدِ علَى نَفيِ صِحَّةِ جُملَةٍ أَو بَعضِ الغَرضِ المَنظُومِ فِيهِ، وهَذا النصَّ الَّذي نَحنُ بِصَددِ القَولِ فِيهِ مِمَّا يظنُّ القارئُ للوهْلَةِ الأُولَى أنَّهُ مِن ذَلِكَ القَبيلِ؛ لِطَبِيعَتِهِ الَّتِي تتظاهَرُ لَهُ مِنهُ، ولِمَا يَبدُو مِن مِعياريَّةِ بِنائِهِ مِن أنَّهُ لَا يتَضمَّنُ معنًى دَفِيًا يَحتاجُ إلَى الاحتِجاجِ علَيهِ، وهوَ يَبعُدُ عن ذلِكَ بُعدًا كَبيرًا؛ فَبإلقاءِ الضَّوءِ عَلَيهِ يَظهرُ مِن معناهُ أنَّهُ بَيانٌ لِحالِ أحَدِ الرُّبُوعِ الَّتي هجَرَها أهلُهَا، فاستَثَارَ ذَلِكَ الشَّاعرَ فَنظَمَ فِيهِ مَا تَراءَى للمُتلقِّي أنَّ هذا دَيدَنُهُ، وَبالشُّرُوعِ فِي تَحلِيلِ مَبانِيهِ العَمِيقَةِ نَقِفُ عَلَى أنَّ الأَثَرَ الَّذي خلَّاهُ الرَّبعُ المهجورُ فِي نفسِ الشَّاعرِ أبلغُ ممَّا تَركَهُ فِي نفسِ هَاجِرِيهِ، هذا علَى افتراضِ أنَّ هاجِرِي هذا الرَّبعِ ناسٌ سِوَى الشَّاعرِ، وذَلِكَ مَا يبدُو مِن تَنكيرِ الشَّاعرِ لـ(الرَّبعِ) ولِـ(أهلِهِ) فِي قولِهِ: **رَبعٌ تَرَبَّصَتِ النُّجومُ لِأهلِهِ...**

ومِن هذا التِّلقاءِ تَحتَّمَ علَى الطَّليقِ أن يُثبِتَ كيفَ تَحقَّقتْ لَدَيهِ مُشاهدةُ الرَّبعِ علَى تِلكَ الحالَةِ الَّتي نَعَتَهُ بِهَا كالمُتَيَقِّنِ مِنهَا، ومَقامُ الخِطابِ عَن غائبٍ؛ فَيَنبغِي أن يُحَدِّثَ بِهِ حَدِيثَهُ عنِ الغَائبِ بِلا

(*) الدِّيوانُ: [143]

1) رَيبُ الزَّمانِ: حَوادِثُ الزَّمانِ ونَوائِبُهُ

2) فَقَرطَسَا: فَأصابَهُم فِي المَوضِعِ الَّذي استهدَفَهُ منهُم

3) عَسعس: اسمُ موضِعٍ بِعينِهِ مِن البَادِيَةِ كَانَ يَعنِيهِ امرؤُ القَيسِ فِي بعضِ شِعرِهِ، وفِيهِ الرَّبعُ الَّذي حَدَّثَ بِهِ فِي شِعرِهِ

إبداءِ شيءٍ مِن هذا التَّأثُّرِ بِما ألَمَّ بِهَ أو بِأهلِهِ الَّذينَ قضَى علَى الرَّبعِ بِأنَّ نُجومَهُ تُراقبُهم وتَنتَظِرُ قُدومَهُم مَرَّةً أُخرَى.

مُتجاوزًا بذلِكَ مِعياريَّةَ اللُّغَةِ التَّقريريَّةِ لإثباتِ مَا رامَهُ مِن هذا، فجَاءَ بالفِعلِ التَّقريريّ: (تَرَبَّصَتْ) بِما يَحمِلُهُ مِن معنَى التَّرقُّبِ الدَّائمِ المُحاطِ بالحَذَرِ الشَّديدِ، وشَأنُ النُّجومِ فِي انتظارِهَا لِعَودَةِ هؤلاءِ القومِ لِا يُوجِبُ التَّرقُّبَ ولَا الحَذَرَ، غيرَ أنَّ إشَارَتَهُ إلأَى أنَّ حَوادِثَ الزَّمانِ قد أصابَتْ أهْلَ هَذا الرَّبعِ بِما لَا يَترُكُ لَهم الفُسحَةَ فِي الرُّجوعِ، جَعَلَ مِن فِعلِ (التَّربُّصِ) أليْقَ بِمقامِ الاستعمالِ مِن تَوظيفِ الانتظارِ أو التَّرَقُّبِ، وهوَ هُنَا قد أحَالَ مِن الفِعلَ مِن معناهُ الَّذي يَجبُ أن يُوظَّفَ فِيهِ إلَى معنًى سِياقيٍّ جديدٍ أدَّاهُ إلَى الرُّجوعِ بالفعلِ إلَى مَعناهُ التَّقريريّ فِي صُورتِهِ المُعجَميَّةِ، ولَكِنْ بِحَسبِ مَا يقتَضيهِ المَقامُ مِن تَوفيرِ وَسَائِلِ الإقناعِ لَا بِحَسَبِ مُقتضِياتِ المَقامِ بَداءَةً.

ثُمَّ جَدَّ فِي السَّعيِ إلَى بَلوَرَةِ حَالِ الرَّبعِ جَرِيرةَ مَا أحالَ بِهِ عَلَيهِ الزَّمَانُ مِن هِجرانِ أهلِهِ لَهُ، مِن التَّقادُمِ الَّذِي أشبَهَ بِهِ حالَ رَبعِ امرئِ القَيسِ بِإحدَى البَوادِي، والمُسَمَّى بِـ (عَسعس) والَّذي عَنَاهُ بِقولِهِ مِن دِيوانِهِ[1]:

أَلِمَّا عَلَى الرَّبعِ القَدِيمِ بِعَسْعسَا * كَأَنِّــي أُنَادِي، أَو أُكَلِّـمُ أخرَسَـا**

فَقَالَ فِي تَالِي هَذا البَيتِ:

فَكَأَنَّهُ –مِمَّا تَقَـــادَمَ عَهْــدُهُ– * رَبْعُ امرِئِ القَيسِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا**

فَكانَ مِن حالِ هذا الرَّبعِ مَا كَانَ مِن حالِ رَبعِ امرئِ القَيسِ مَعَ صَاحِبَيهِ اللَّذَينِ استَوقَفَهُمَا عِندَهُ بَاكِيًا مَا أَلَمَّ بِهِ، غيرَ أنَّ عارضًا عَرضَ للطَّليقِ المَروانِي فِي بيتِهِ هذا رَغبَ مِنهُ فِي إظهارِ كيفَ أنَّ هذا الرَّبعَ آلَتْ بِهِ الحالَةُ إلَى مَا آلَتْ بِربعِ امرئِ القيسِ القَدِيمِ؛ فَحدَثَ بينَهُمَا بِذلِكَ التَّشابُهُ فِي الهَيئَةِ الحَالَّةِ بِهما.

حيثُ جاءَ بالجُملَةِ الاعتراضيَّةِ: " مِمَّا تَقَادَمَ عَهْدُهُ " المُشعِرَةِ بِطُولِ المَدَى الزَّمَنيّ الَّذي مَرَّ بِهذا الرَّبعِ بعدَ هجرانِ أهلِهِ لهُ تِلك المُدَّةُ الَّتي دَعتْهُ أوَّلًا إلَى الابتداءِ بِذكرِ الرَّبعِ لا بِذكرِ أهلِهِ الَّذينَ هجروهُ؛ لِيُخرِجَ المُتلقِّي ممَّا مَثَلَ فِي نفسِهِ مِن أنَّ الحديثَ فَحوَى الخِطابِ كانت مُتعلّقةً بِأهلِ الرَّبعِ لَا بالرَّبعِ نفسِهِ، مُثيرًا فِي نفسِهِ التَّساؤلَ عن: لِمَ أقحَمَ الشَّاعرُ ذِكرَ (الأَهلِ) فِي هَذَا المَقَامِ الخَاصّ، والقَولُ فِي الأَسَاسِ علَى (الرَّبعِ) عَينِهِ..؟

1) القَيسِ، امرِئِ، شَرحُ دِيوانِ [115]

لَم تَكُنِ المَسألَةُ عَرضِيَّةً لَجَأَ فِيهَا الشَّاعرُ إلَى إقحامِ (الأهلِ) مِن غيرِ داعٍ، بل دفعَ بهِ ذِكرُ مَا آلَ إليهِ الرَّبعُ مِن تقادُمِ العهدِ، وتَرقُّبِ الرُّجوعِ والتَّهدُّمِ، إلَى ذِكرِ الأهلِ دليلًا عَلَى أنَّ ذَلِكَ لَم يَكن إلَّا بسببِ هِجرانِهم لهُ، فأتَى بِالعِلَّةِ فِي مُقابلِ المعلولِ.

وهذا النَّوعُ مِن الزِّياداتِ الأُسلُوبيَّةِ المَعنِيَّةِ بِتضمِينِ تركيبٍ ما شيئًا لَا يُمكِنُ الإلماحُ إليهِ إلَّا مِن طَرِيقِهَا ضَرْبٌ مِن ضُرُوبِ الإطنابِ المُعَوَّلِ فِيهِ علَى تَكثيرِ اللَّفظِ عَلَى حاجَةِ المَعنَى لِفَضْلِ زِيادَةٍ يُؤدِّيهَا اللَّفظُ المَزيدُ، وهوَ هُنا قامَ بِدَورِ التَّعليلِ لِمَا أرادَ النَّاظِمُ الإخبارَ بهِ تَوكيدًا للمَعنَى فِي ذِهنِ مُتلقِّيهِ، مِن قَبِيلِ التَّنويهِ بِمَا لَهُ مِن أهَمِيَّةٍ قُصوَى فِي بَيانِ طُولِ المُدَّةِ المُستَغرَقَةِ مِن قِبَلِ أهلِ هذا الرَّبعِ فِي هِجرانِهِم لَهُ، ومَعَ تَقادُمِ عَهدِ اللِّقاءِ بِينَهُ وبينَهُم، صَوَّرَ الشَّاعرُ الرَّبعَ بِصُورَةِ الشَّخصِ الَّذي فارَقَهُ أَحِبَّتُهُ وَكَانَ مِنهم علَى عهدٍ بالتَّلاقِي، فظلَّ علَى هذا العهدِ لَم يَختَرِمْهُ.

وتعاليل الإقناعِ الشعري ملونة أيضاً، ينبع تلونها من تعدد أسلوبيات الكلام وتفاوتها في توظيف التراكيب التعليلية، أي التراكيب التي ترتكز على بنية (العلة والمعلول) التي لا مناص للتسويغ عن حضورها؛ فالعلة والمعلول يساهمان في الإقناع، وإذا جاء الكلام من دونهما أو من دون أحدهما فلا تتم منطقية ممارسة الإقناع إلا إذا استعاض الشاعر عنها بتراكيب إقناعية أخرى، وإذا لم يستعض عنها ينقطع خط التواصل بين الشاعر المُحاجِج والجمهور المحاجَج(1)

الخَاتِمَةُ:

لقد عُنيَ الدرسُ الحجاجيُّ بالدّرجةِ الأولى بمهمةِ اللغةِ التي تؤديها في تحديدِ ملامكِ الخطابِ، وبرازِ تجلياتِه الموحيةِ، وإظهارِ مستبطَناتِه، من خلالِ ما يسمّى بالقناةِ التوصيليةِ التي يُراعى كيفيةُ أداءِ اللغةِ المستعلنةِ في تحريرِ أهدافِ إنتاجِ النصّ في صورتِه التبليغيةِ التي تكمنُ تحتَنا مظاهرُ الدلالاتِ المنشودةِ منهُ، ولم يُركّز الدرسُ الحجاجيُّ تداوليًّا على كُنهِ اللُّغةِ وطبيعتِها التركيبيةِ والتصويريةِ والإزاحيةِ؛ كونُ ذلكَ من اختاصاتِ علومِ اللغةِ والمعاجمِ والبلاغةِ التّقليديةِ والنّمطيةِ المنوطِ بها تعيينُ ملابساتِ التركيبِ وما عساهُ يؤديهِ من مظاهرَ جليةٍ مُعبّرةٍ عن طبيعةِ تلك اللغةِ، فكانَ للاستعمالِ السياقيّ المخدومِ من قِبَلِ لغةِ النّصّ الأثرُ الأبلغِ في بلورةِ مظاهرِ التواصلِ والاتّصالِ القائمةِ على الاحتجاجِ لأمسألةٍ ما من المسائلِ إثباتًا لها أو نفيًا لحبيقتِها بحقٍّ أو باطلٍ؛ إذ إنّ تطلعاتِ الدرسِ التداوليّ لمقاصدِ النّصّ لا تُعنى بنظرِ تطابقِ الحُجّةِ معَ الواقعِ من عدمِها، بل تستهدفُ إبرازَ قوّةِ المُحتجّ بها في إقامةِ الدّليلِ على صدقِ كلامِهِ على الصّورةِ المُحقّقةِ لأهدافِه بها.

(1) نجم جبار، فرقان(2019م): الحجاج في الشعر الأندلسي ص123.

وقَد خَلصتُ فِي نِهايَةِ هذه الدراسة إلَى عَددٍ مِن النتَائجِ الَّتي عَوَّلْتُ فِي استخلَاصِهَا علَى النَظريَّةِ الحِجَاجِيَّةِ فِي استِكنَاهِ مُستَبطَنَاتِ شِعرِ الطَّليقِ المَروَانِي، وَجَاءَتْ علَى نَحوِ مَا يَأتي:

1) اتِسَامُ دِيوَانِ الطَّلِيقِ المَروَانِي بِحِيادِيَّةِ الفِكْرِ، واستقلاليَّةِ المَغزَى، واختلافِ طَرِيقَةِ الأدَاءِ الخِطابيّ لِمفهُومِ الإقنَاع؛ فَقد عَالَجَ قضايَا النُّصُوصِ مُعالَجَةً خَاصَّةً جَعَلتْ مِن نُصُوصِهِ أكثرَ غزارَةً فِي إنتاجِ المَعَانِي، وبَلوَرَةَ التَّصوِيرِ الحِسيّ للمَعقُولاتِ والمُتَخيَّلَاتِ.

2) تَمكِينُ الطَّلِيقِ الأدواتِ الحِجاجِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ مُتسَانِدَةً معَ الدَّلِيلِ المَقاميّ مِن الوُصُولِ إلَى الغايَةِ المنشُودَةِ مِن الخِطَابِ الشِّعريّ، بِسَوقِهِ العَناصِرَ اللُّغَوِيَّةِ سَوقًا مُنضَبطًا بِغَيرِ حِيادٍ عن المَوضعِ المُستَحِقّ لِإيرادِهَا فِيهِ؛ فَجاءَتْ المُفرداتُ مُعبِّرةً بالتِصاقِهَا بِمواقِعِهَا النَّازِلَةِ مِنهَا مَنزِلَ المَظروفِ مِن ظَرفِهِ.

3) تَدلِيلُ الطَّلِيقِ بَالصُّورَةِ البَلَاغِيَّةِ عَلَى الغرَضِ الخِطَابيّ لأيٍّ مِن النُّصُوصِ الَّتِي أوردَ فِيهَا الصُّورةَ بِالتَّوافُقِ مَعَ الغايَةِ مِن الاحتِجَاجِ علَى إثباتِهَا أو نَفيِهَا، بِحصرِ الصُّورَةِ الاستعاريَّةِ أو التَّشبِيهيَّةِ فِي إطارِهَا المُخصَّصِ لَهَا مِن غيرِ تَصَنُّعٍ يَهدُفُ إلَى المَزجِ بينَ الصُّورَةِ والأدَاءِ البُرهَانِيّ الَّذي سِقَتْ فِي النَّصّ مِن أجلِهِ، فجاءَتِ الَّصورَةُ عذبَةً رقيقةً مُنسَابَةً، لَم تَتَصادَم معَ الإجراءِ الحِجاجيّ المُتَّخَذِ مِن قِبَلِ الشَّاعرِ لِدَعمِ تَوجُّهِهِ فِي الخِطابِ الشِّعريّ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف.

ثالثًا: المصادر وكتب التراث القديمة ودواوين الشعراء

1) ابن منظور، جمال الدين (د.ت): لسان العرب، م13، دار صادر، بيروت.
2) الجاحظ (١٩٨٦م): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
3) الخليل بن أحمد، لأبي عبد الرحمن(ت175هـ): (ت1405هـ)العين [كتاب]: تح: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، ط1، دار الهجرة – إيران.
4) دياب، محمد (2017م): شعر الطليق المرواني؛ جمع وتوثيق ودراسة، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر.
5) ابن الخطيب، لسان الدين(1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (1986م) وذكر وزيرها تحقيق: حسين عباس، بيروت دار صادر.

رابعًا: المراجع:

1) الأنطاكي، محمد (د.ت): المنهاج في القواعد والإعراب، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ط).

2) ضيف، شوقي(1960م، 1995م): تاريخ الأدب العربي، دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى.
3) عبد المجيد، جميل (2000م): البلاغة والاتصال: دار غريب/ القاهرة، (د ط).
4) عصفور، جابر (2005م): مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1.
5) عيد، رجاء القول الشعري (بدون سنة نشر): (منظورات معاصرة)، منشأة المعارف بالإسكندرية.
6) فهمي، محمود تاريخ التراث العربي (بدون سنة نشر): (الشعر إلى حوالي سنة 430 هـ)، فؤاد سزكين، راجعه: د عرفة مصطفى – د سعيد عبد الرحيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
7) صمود، حمادي (د. ت): نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب منوبة المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ط.

خامسًا: الكتب المترجمة

1) محمود، محمد (٢٠١٢ م): معجم المصطلحات الأدبية، يول آرون، وآخرون، حمود، محمد (٢٠١٢ م)، ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

سادسًا: الرسائل العلمية

1) نجم جبار، فرقان(2019م): الحجاج في الشعر الأندلسي في عصري دول الطوائف ودولة المرابطين، (422هـ – 542هـ)، جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بابل، أطروحة دكتوراه غير منشورة.

سابعًا: المجلات والدوريات

1) حبيب، بوسغادي(2019م): الحِجاج البلاغي في نونية أبي البقاء الرّندي دراسة نماذج، المركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر، العدد الثالث.
2) عمر، جايلي(٢٠١٨م): نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، جامعة بالأغواط، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع٣.
3) لعلاوي، فتحية(2012م): الوظيفة الاقناعية للحجاج في الدراسات العربية والغربية، حوليات جامعة الجزائر، العدد 22.

ثامنا: الكتب المترجمة

4) Julien D. Bonn: Comprehensive Dictionary of Literature, Abhishek puplications India, 2010: p; 16 M H Abrams, Geoffrey Galt Harpham.